خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٦ شعبان ١٤٣٨ في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن نبيكم محمدًا ﷺ قد جاءكم بالخير كله من الله ﷻ، فأمرُه لكم فيه خيرٌ لكم، ونهيُه لكم فيه خيرٌ لكم، ودعاؤه ﷺ فيه جوامع الخيرات، وإن مما صح من دعاء نبيكم ﷺ أنه كان يقول: **«اللهمّ إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء»**.

أربعة أمور -يا عباد الله- إذا اتّصف بها الإنسان قادته إلى الهلاك، وقادته إلى كل شرّ، وعظم الشرّ في نفسه، ولذا استعاذ منها النبي ﷺ.

«اللهمّ إني أعوذ بك»: أي ألجأ إليك أن أكون من أهل هؤلاء الأربع، وفي رواية: «جنّبني»، أي اجعلني في جانب، واجعلها في جانب آخر.

أولها: منكرات الأخلاق.

والأخلاق -يا عباد الله- منها حَسَن ومنها سَيِّء، وحُسنُ الأخلاق إيمانٌ وإحسانٌ، وسوء الأخلاق خُبثٌ ونقصٌ في الإيمان، يقول النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمّم صالح الأخلاق»، وفي رواية: «لأتمّم مكارم الأخلاق».

وحُسن الخلق -يا عباد الله- دلالة على خيريّة المسلم، كما أنّ سوء الخلق دلالة على الشرّ فيه، والعياذ بالله، قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «ألا أخبركم بخيركم من شرّكم؟» فسكت القوم، فقالها ﷺ ثلاثًا، فقال رجل: يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من شرّنا، فقال ﷺ: «خيركم من يُرجى خيره ويؤمَن شرّه، وشرّكم من لا يُرجى خيره ولا يؤمَن شرّه»، والذي يُرجى خيره ويؤمَن شرّه -يا عباد الله- هو صاحب الأخلاق الحسنة، والذي لا يُرجى خيره ولا يؤمَن شرّه هو صاحب الأخلاق السيّئة.

وحُسن الخلق -يا عباد الله- يقود العبد إلى الجنة، سُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال ﷺ: «تقوى الله وحسن الخلق».

وحُسن الخلق يرفع درجة المؤمن في جنة رب العالمين، يقول النبي ﷺ: «إن المؤمن لَيُدرِك بِحُسن خلقه درجة الصائم القائم».

وحُسن الخلق يجعل العبد من خيار المؤمنين، يقول النبي ﷺ: «إنّ من خياركم أحسَنكم أخلاقًا».

بل -يا عبد الله- إن حسن الخلق يجعلك من أحبّ الناس إلى النبي ﷺ، ويا لها من منزلة؛ أن يكون المؤمن متّصفًا بما يجعله من أحب الناس إلى النبي ﷺ! يقول النبي ﷺ: «إنّ من أحبّكم إليّ أحسنكم أخلاقًا».

وضدّ هذا -يا عباد الله- سوء الخلق، وسوء الخلق دركات -والعياذ بالله- بعضها أشدّ من بعض، وإنّ أشدّ سوء الخلق منكرات الأخلاق، التي كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منها، ويستعين بالله على أن يسلم منها، فكان النبي ﷺ يدعو: «اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّي سيّئها، لا يصرف عني سيّئها إلا أنت».

وإنّ من منكرات الأخلاق يا عباد الله: الفحش في الكلام، بأن يكون الإنسان سبّابًا، وأن يكون شتّامًا، وأن يكون لعّانًا، وهذا من أسوأ منكرات الأخلاق، ولذا لم يكن نبّينا وإمامنا وقدوتنا ﷺ لعّانًا، ولا سبّابًا، ولا شتّامًا، ولا متفحّشًا ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «إن الله ليُبغض الفاحش البذيء»، وقال ﷺ: «ما كان الفُحش في شيء إلا شانه».

ومن منكرات الأخلاق -يا عباد الله- الكذب، فما ينبغي لمؤمن أن يكذب، تقول أمّنا عائشة رضي الله عنها: ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يحدّث عند النبي ﷺ بالكذبة، فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة، فكان النبي ﷺ يبغض خلق الكذب بغضًا شديدًا.

وشرّ هذا المنكر من الأخلاق -يا عباد الله- الكذب على الفضلاء، كالعلماء، وحكّام المسلمين، ومن له على الإنسان حقّ، كالوالدين.

ومن شرّ هذا المنكر من الأخلاق: أن يكذب الإنسان الكذبة تبلغ الآفاق، كما هو الحال اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي، يكذب الكاذب على ولي الأمر، أو على جيش البلاد، أو على علماء البلاد، أو على مسلم، صغيرًا كان أو كبيرًا، ويرسل ذلك إلى الفضاء الواسع في وسائل التواصل الاجتماعي، فتبلغ كذبته الآفاق، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يُشَرشَر شِدقُه، فأُخبر من الملكين أنّه الرجل يكذب الكذبة، فتُحمَل عنه حتى تبلغ الآفاق، والعياذ بالله.

ومن شرّ هذا المنكر من الأخلاق -يا عباد الله- أن يحدّث الإنسان بكل ما سمع، فمطيّته (زعموا)، و(قالوا)، و(هكذا يقولون)، لا يسمع شرًّا عن إنسان إلا نشره، من غير تثبّت ومن غير أن يعرف أنّ الناقل ثقة يُحمَل عنه الكلام، وقد قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع»، وقال ﷺ: «بئس مطية الرجل: زعموا».

فهذا المنكر من الأخلاق -يا عباد الله- أصبح شائعًا منتشرًا بين الناس اليوم، والواجب علينا -يا عباد الله- أن نحذر من هذا المنكر، وأن نحرص على أن نتّقي الله، وأن نكون مع الصادقين.

ومن منكرات الأخلاق التي استعاذ منها النبي ﷺ في دعائه الذي سمعناه: سوء الظن بالمسلمين، وحمل الناس على أسوأ الظنون، وإحسان الظن بالنفس، وأن يكون الإنسان بصيرًا بعيوب الناس، أعمى عن عيوب نفسه، غافلاً عنها، قال النبي ﷺ: «إياكم والظن، فإنّ الظن أكذب الحديث»، وقال ﷺ: «يُبصِر أحدكم القذاة في عين أخيه، ويَنسى الجِذْع في عينه»، فهذا -يا عباد الله- من منكرات الأخلاق.

ومن منكرات الأخلاق: الشُّحّ الذي يطيعه الإنسان، فيمنعه من الواجبات، ويمنعه من التقرّب إلى الله ﷻ ببذل الأموال في سبيله، فيطيع الإنسان شُحَّه، وقد قال النبي ﷺ: «شرُّ ما في الرجل: شُحٌّ هالع، وجُبنٌ خالع».

«شرّ ما في الرجل»: أي إنّ من أشرّ ما يتّصف به الرجل: شُحًّا هالعًا، ومعنى هالع: أنه يُصبح صاحبه من أهل الهَلَع، والفَزَع، يخاف على الأموال أن تنفد، وأن تنقضي، فيطيع هذا الشُّحّ، ويتّبع هذا الشُّحّ، ولا ينفق في سبيل الله ﷻ.

ومن منكرات الأخلاق يا عباد الله: تدخّل المرء فيما لا يعنيه، وفيما لم يُكلَّف به، فإنّ تدخّل المرء فيما لا يعنيه من سوء الأخلاق، بل من أسوأ الأخلاق، وإنّ تدخّل المرء فيما لم يُكلَّف به يُفسد عليه عقله، ويُفسد عليه دينه، ويُفسد عليه وعلى غيره دنياه، فإن بعض الناس -يا عباد الله- يتدخّل فيما جُعل للحاكم، ويتدخّل فيما جُعل للعالم، ويتدخّل فيما جُعل للإمام، وهو لم يُكلَّف بذلك، وهذا من سيّء الأخلاق، وقد قال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فاتقوا الله -عباد الله- واحمدوا الله أن جعلكم مسلمين، من أهل هذا الدين، دين الأخلاق العالية، والمكارم الفاضلة، واعلموا أنّ مَن درّب نفسه على حسن الخلق -مُستعينًا بالله من قبل ومن بعد- يوشك أن يصل إلى أن يكون من أهل المكارم العالية، والأخلاق الفاضلة، وتعوّذوا -عباد الله- ممّا تعوّذ منه النبي ﷺ، ودرّبوا أنفسكم، وربّوا أبناءكم، على اجتناب منكرات الأخلاق، لعلّكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ ممّا استعاذ منه النبي ﷺ: منكرات الأعمال.

قال العلماء: والمقصود بمنكرات الأعمال: كبائر الذنوب التي لا تُغفَر إلا بتوبة يُحدِثها الإنسان، فكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من أن يكون من أهل منكرات الأعمال، فالواجب على المؤمن أن يتّقي الله، وأن يجتنب منكرات الأعمال، وأن يستعين بالله ﷻ على ذلك.

وإنّ ممّا استعاذ منه النبي ﷺ: منكرات الأهواء.

فإن الهوى ما ورد في كتاب الله إلا مذمومًا يا عباد الله، والهوى هو مراد الإنسان، فإذا انسلخ الهوى عن الهدى كان اتّباعُه طريقًا للضّلال والهلاك، فمن اتّبع هواه -يا عباد الله- بغير هدى من الله كان من أضلّ خلق الله، ولا بدّ أن يتجارى به الهوى حتى يسير به في أودية الهلاك.

فالواجب على المؤمن -يا عباد الله- أن يهذّب مراد نفسه بشرع الله ﷻ، وأن يجعل مراده حيث أراد الله ﷻ، وحيث أراد رسوله ﷺ، أمّا ما يخالف مراد الله أو يخالف مراد رسول الله ﷺ، فإنه يجتنبه، ويبتعد عنه، ولا يكون من أهله.

وإنّ ممّا استعاذ منه النبي ﷺ: منكرات الأدواء، منكرات الأسقام، أي من سيّء الأسقام، من الأمراض الكبرى التي تجلب للمبتلى بها أسقامًا عظيمة، كمرض السرطان، والجُذام، وما يسمى بمرض العصب الخامس والسادس، وغير ذلك من الأسقام العظيمة.

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الجنون، والجُذام، والبَرَص، وسيّء الأسقام، فالمشروع للعبد أن يسأل الله ﷻ العفو والعافية، وأن يستعيذ بالله من سيّء الأسقام، وأن يستعيذ بالله من منكرات الأدواء.

فإذا ابتلي الإنسان صبر لِقَدَر الله ﷻ، وعلم أن الناس يُبتَلَون على مقدار إيمانهم وصلاحهم، وعلى مقدار محبة الله ﷻ لهم، حتى أنّ نبيّنا ﷺ كان تصيبه الحُمّى، فتوضع عليه اللُّحُف، فيأتي الرجل، فيضع يده فوق اللحاف، فيشعر بالحمّى من شدّة ما يوعَك ﷺ، فإذا ابتُلي المؤمن بشيء من الأسقام صبر،

وعلم أنّ لله حكمة، ورجا ما عند الله، ورجى أن يكون هذا البلاء رافعًا لدرجته، ومُذهِبًا لسيّئاته، ومُنبّهًا له من غفلته.

ألا فاتقوا الله عباد الله، والْتَمِسُوا الخير في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، ومن تمسّك بما في كتاب الله وبما في سنة رسول الله ﷺ كان من المهتدين، فعاش سعيدًا، ومات حميدًا، وبُعِث آمنًا، وكان مستَقَرُّه في جنة رب العالمين.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ وأمّنّا من عذابك يا رب العالمين، اللهمّ وأصلح شأننا كلّه.

اللهمّ يا ربنا، من علمته منّا صالحًا مقيمًا على الطاعات اللهمّ فتقبّل منه وثبّته يا رب العالمين، وزده خيرًا إلى خيره يا رب العالمين، ومن علمته منّا مقيمًا على معصية اللهمّ فبَغِّض المعصية إليه، اللهمّ فبَغِّض المعصية إليه، اللهمّ فبَغِّض المعصية إليه، وارزقه توبةً عاجلةً منها، وتقبّلها منه يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

إلهنا، إنا عباد مسرفون مذنبون، معترفون بذنوبنا، معترفون بتقصيرنا، ولا إله لنا سواك، ولا ملجأ لنا إلا إياك، اللهمّ فاغفر لنا ذنوبنا، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا ولأهلينا ولذرّيّاتنا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

إلهنا، إنّا نرى إخوانًا لنا في ديار المسلمين في حروب وفِتَن وبلاء، اللهمّ فأطفئ الحروب على خير يا رب العالمين، وارفع البلاء عن ديار المسلمين، وأقرّ أعيننا بالأمن والإيمان، والتوحيد والسنة، في بلادنا وفي سائر بلاد المسلمين، يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا نسألك أن تعين وليّ أمر هذه البلاد على ما تحبّ وترضى، اللهمّ ارزقه الصحة والعافية، وارزقه البطانة الصالحة، وقرّبه إلى الخير، وقرّب الأخيار منه يا رب العالمين.

اللهمّ احفظ هذا البلد، اللهمّ احفظ هذا البلد،بحفظ ولي أمره ونائبه وولي عهده يا رب العالمين، وبحفظ الخيرات والبركات فيه يا رب العالمين، اللهمّ من أراده بسوء اللهمّ فاصرف سوءه، وأشغله بنفسه يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا نعوذ بك من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، يا رب العالمين.

اللهمّ ارزقنا الأُلفة فيما بيننا، اللهمّ ارزقنا الأُلفة فيما بيننا، اللهمّ ارزقنا الأُلفة فيما بيننا.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.